البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ مفاسد لا موالد ﴾

لأحد الفضلاء يصف المولد الكبير الاحمدي وبعض ما كان فيه
من البدع والمنكرات والتقاليد والعادات

إن صح ما يقوله علماء العمران من أن المعارض معيار تقدم الامم وارتقائها فى الحضارة لانها السوق الذى تعرض فيه بضائعها وما حصلت عليه من علوم وما تحلت به من اخلاق وآداب والزناد الذى باستيرائه يتجلى كامن القوة ويتسنى الانتفاع بما أودع فيه من صنعة الحكيم العليم كان المولد الاحمدي هو أول معيار يعرف به الحكيم الحاذق ما عليه امتنا المصرية من الارتقاء فى سلم المدنية وما أحرزته من مستلزمات الحضارة والسبق فى ميدان تنازع البقاء ويمكنه بعد ان يجول فى انحاء طنطا فى هذه الايام جولة صغيرة أو يجلس فى محل مشرف على طريق عام برهة من الزمن ان يستجمع من الادلة والبراهين التى يشاهدها بعينى رأسه ويسمعها بأذنه ما يكفي لاقتناعه بان يصدر حكماً قد رسخت قواعده على اساس العدل على ما وصلت اليه الامة فى آدابها واخلاقها وهل هي من ذلك فى الدرك الاسفل أو الدرجة العليا واذا كان ممن يعرف شيئاً عن حقيقة الدين الاسلامي تبين مقدار محافظة الامة عليه وقيامها به واعتبر هذا المولد عظة وذكرى لقوم يعقلون

ولكن ما الذى يشاهده يا ترى ؟ يشاهد طنطا وقد احتشد فيها انواع

الناس من كل فج وناحية فهي تموج بهم موجاً وقد ضاقت بهم ارجاؤها على رحبها وقد تخلل عشرات ألوف هذا الجمع المزدحم آلاف من الباعة لأنواع الألاعيب وملهيات الاطفال والمناديل وأنواع الحرداوات وسائر المعروضات التي لو سألت عن منشئها ومن أين جاءت لأجبت لاول وهلة انها من واردات البلاد الاجنبية فليس بين ما يعرضه الباعة من المصنوعات المصرية الا النزر اليسير من تافه المبيعات كالزماوات المتخذة من القصب الفارسي ونحو ذلك وما بقي فمعروضات افرنكية في الحقيقة — وقلما تسمح نفس مصري بعرض مصنوع مفيد يكون من ورائه ترقية حال الامة في زراعتها أو تسهيل الاعمال التي تزاولها من المهن الضرورية على حين نرى فيه الافرنج يتسابقون الى مثل هذه الاحوال فهم يعرضون في هذا المولد طنبوراً رافعاً للمياه يذكرون من فوائده انه يسهل ري الارض بدرجة لم يسبقه بها من الآلات الرافعة الا ما كانت ادارته بقوة الآلات الكهربائية أو البخار

وقد رأيناهم يعرضون في المولد الذي قبل هذا انواعاً من النوارج ومكينات لقرط الذرة واخرى لغربلة الحبوب وثالثة لطحن البن وما شئت من مصنوعات تضافرت عليها افكار وايدي الانسان فكانت خير نتيجة انتجها الجد وممارسة العلوم وما أوتيتم من العلم الا قليلا

اذا صرف العاقل نظره عن التأمل فيما يتبادل الناس بيعه وشراءه وتأمل في هذا الجمع المزدحم رأي اصناف الناس كانما دعاهم داعي النشور فقاموا مسرعين الى موقف فصل القضاء قد اختلط الرجال بالنساء والكبار بالصغار كل آخذ في سبيله منصرف لما يريد — يرى من بين هذا المزدحم

فئات من الشبان قد التفوا حول غانية هيفاء وقد خرجت متبرجة تبرج الجاهلية الأولى وبذلت اقصى ما تصل اليه يد امكانها من الزينة لتغري هؤلاء الاغرار باتباعها حتى يصلوا بها الى ملهى من الملاهي ويكون هناك من انتهاك حرمة الآداب ما تقشعر منه الامم العريقة في الهمجية يرى الطبول تقرع وكاسات الفقراء ترن والرايات الملونة خافقة في الهواء وحاملوها يتمايلون كانما سرت فيهم كهربائية الولاية

انا جالس الآن اشاهد الطريق الذي يمر منه الخليفة وقد ازدحم الناس على جانبي الطريق والافرنج يشرفون من الكوى والشرفات ليشاهدوا ما يعمله المسلمون من شعائر دينهم ومن تحتهم ثم الخلفاء والنقباء وارباب الاشائر وابناء الطرق بالازياء المختلفة وآحاد الناس قد احتضنوا الابناء وعلى رؤسهم الطراطير المخروطية الشكل المختلفة الالوان وهؤلاء الخلفاء (ماعدا خليفة السيد طبعاً) يسير الواحد منهم وهو ممتط فرساً ذلولاً وقد امسك بهذا الشيخ من جوانبه الاربع فئة من مريديه وهو يتمايل على ايديهم ذات اليمين وذات الشمال والى الأمام والوراء وآخران قد امسكا بزمام فرسه وهو على هذه الحال كأنما أُخذ عن حسه واستغرق في مشاهدة الذات الاقدس والبعض من هؤلاء المشايخ الاقطاب قد اسبل على رأسه وجانب من نصفه الاعلى كساء من الصوف الاحمر او الاصفر او الاخضر او نحو ذلك فلا يرى من بدنه شيء وبعض قد عرى رأسه وجسده الى ما تحت السرة وانحسر اللباس عن رجليه الى ما فوق الركبتين فلم يستتر من جسده غير سوأتيه وهو في تمايله ذاك يخرج من فيه لعاباً يسيل من اشداقه كأنه يتخذ هذه الحال عنواناً على الرقي الى حظيرة القدس

او التناهي في مقام القرب وكونه لم يبق بينه وبين مخالطة الملأ الاعلى وعالم الروحانيات شيء . وأمامه وخلفه ثلة من الشيب والكهول والشبان بغريب الملابس قد استولى عليهم الجذب وشغل حسهم شهود الخالق في زعمهم فهم يثبون وثبة القرد امره سيده بمحاكاة البرابرة يرقصون في ملاهيهم فأتمر . والناس يقرأ بعضهم الفواتح والبعض يستغيث بهم والنساء تزغرط وما شئت من هذا الباب واكتلت من هذا الجراب

وبعد ذلك مرت الموسيقى وعلى جماعتها مظلة واحدة يبلغ قطرها ثلاثة امتار ونصف تقريباً وقد نقشت بانواع الاصباغ فكانت مرمى نظر الجميع ثم مر الطبل التركي وخلفه ارباب الحرف وخدمة القهاوى من البلاد المختلفة وقد امتطوا الخيول والبغال والابل على انحاء شتى وعلى رؤسهم الطراطير الموصوفة ولا تسل عن عربات النقل (الكارو) المقلة للنساء والفتيات وقد لبسن الطراطير واخذ الحرُّ مأخذه منهن حتى ان الواحدة ربما لم تجد شيئاً تحرك به النسيم سوى نعلها فتنتزعه من رجلها وتمر به امام وجهها يميناً وشمالاً تموّج به الهواء تنفس عن نفسها وربما فعلت ذلك لتكون اضحوكة

ومر بعد ذلك شخص امامه موسيقي خصوصية وقد اعتلى فرساً وجعل على رأسه كوفية ملونة ولف عليها عقالاً وضرب بفضل اطراف الكوفية على وجهه فلم يظهر منه سوى عينيه وشد على وسطه زناراً ملوناً واحتذى حذاءً مما لا يلبسه الا السيدات وحلّى ساقه بخلخال لامع من الفضة فاختلف الناس فيه اهو مخنث او امرأة تخفي أمرها وبعبارة أخرى (هل هو الرجل الجديد او المرأة الجديدة) ثم مرت شرذمة من

العساكر الفرسان بأيديهم السيوف تتلوها أخرى من الرجالة بأيديهم البنادق ثم غوغاء من الناس يذكرون الله لا يتجاوز الذكر حناجرهم وقد تلجلج بصرهم ذات اليمين وذات الشمال ثم سبعة من كناسي المسجد الأحمدي بأيديهم سيوف أنحى عليها الصدأ وكر الغداة ومر العشيّ وقد لبسوا دروعاً وخوذاً اخلقتها الدهور لاقراع الكتائب والظاهر انها كانت مما يستعمل زمن الحروب الصليبية والناس يزعمون انها كانت لباس الاسرى الذين احتملهم سيدي احمد البدوي من بلاد الكفار واما مهم حاملوا البلط والسيوف الحشية ثم الخليفة وعلى رأسه التاج المنسوب الى السيد احمد البدوي وبجانبه الحراس من فرسان العساكر والاهالي خيفة ان يختلس التاج اولاد نوح الذين يزعمون انهم أولى به وورآءهم اخلاط المشاة والركبان بالازياء المختلفة والبعض قد ضم اليه طفلاً ألبسه خرقة خضراء وطرطوراً رجاء ان يعيش ويطول عمره تخلفهم زعانف آخرين كحملة المزمار والطبل البلدي والتركي ثم الذين يركبون الابل وقد وضعت بينهم مائدة على ظهر بعير يلعبون عليها بالضمن والكوتشينه والنرد. ثم راكب على جمل قد لبس حلة من شعر المعز وتاجاً اخضر محلى بالقصب المخيش وحلة خضراء وامامه ولد كذلك وامام الولد سفط منشى بالنسيج الاخضر وغيط الجمل كذلك وبعد ذلك ثلاثة نفر قد صبغوا وجوههم بألوان من الاسفيذاج والسليقون واللاذورد وتزيوا بأزياء مختلفة وبيد كل منهم قرص من السرقين يموج به الهواء ليستنشقه بارداً وبالجملة لا يكاد يمر بالموكب الا من غير زيه وشكله وخلقه وخلقه

هذه بعض صفات المولد الاحمدي الذي يعتقد كثير من الناس انه

من مستثنيات الشريعة الغراء وان المبادرة اليه من افضل القرب وان من زنى فيه لا بدّ ان يتوب الله عليه وان موكب الخليفة الموصوف هو مهبط الاسرار الربانية وان ما يقع فيه من الامور المخالفة للشريعة لا يقع الا وقد سبقه الغفران وهكذا تلبس المساوي لباس الآداب الدينية وتلتصق الوثنية بدين التوحيد وتعد المخازي الهادمة للآداب والمروءة من دعائم الحنيفية السمحة تبرأ الاسلام من ذلك وتعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً

اكتب هذه السطور وانا مشرف على موكب الخليفة من جهة يميني وعلى يساري كتاب فيه تاريخ القراعنة فى وثنيتهم الأُولى اطالع وصف مواكبهم واجيل طرفى فى صورة الموكب فلم اقرأ مثلما يلمح طرفى الآن مما يشوّه وجه الآداب او يناقض سمات الفضيلة فخيل لي ان تلك الوثنية الاصلية أرقى من جميع الوجوه مما لحق بالاسلام والتصق به من هذه الشعائر الوثنية الطارئة

مررت على بيت فاذا فيه جماعة قد اخذوا بأيديهم المعازف من الدف والمزمار البلدي والأرغول والناي والجميع يعزفون بالانغام ومنهم ضارب على صنجة رنانة من الفولاذ ومعهم جماعة يتمايلون ويوقعون الذكر على هذه الألحان فوا ايّ دين جاء هذا وفى ايّ قرآن شرع وعلى اي رسول نزل ؟ هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس فى آياته امر يذكره تعالى فى حال تمايل الذاكر كتمايل الثمل أمال انّاء بنت الحان فمالته ولا ان يكون ذكر الله على توقيع الحان المعازف ولم ينقل من احواله صلى الله عليه وسلم شيء من هذا الذي يأتيه اعوان الضلال الذين يتبعون خطوات الشيطان وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً

وهنالك قوم آخرون يذكرون الله بأصوات منكرة مزعجة اذكرني

ما اخبرني به بعض المدرسين بالجامع الاحمدي وهو انه شاهد جماعة من هؤلاء في سفره الى الحجاز كانوا معه في قافلة وهم من المصريين فاناخت القافلة في واد بين جبلين فقام هؤلاء يذكرون (الذكر اليومي) في جوف الليل فلما علا صوتهم وتردد صداه في تلك الصحراء هاجت الجمال واخذت في ارجلها اطناب الخيام وقلعت الاوتاد وذعر النيام وساءت حال القافلة فقام الاعراب ممتشقين السيوف يتساءلون ما هذا الضجيج فقال لهم ذلك المدرس هذا ذكر الله فقال له اعرابي جلف : ذكر الله به تطمئن القلوب ولا تهيج منه الجمال

هذا بعض ما رأيته في هذا المولد ولو كنت ممن يغشى مواطن اللهو لذكرت كيف تراق دماء الآداب باراقة دم بنت العنقود وكيف تتحدر جداول الدراهم والدنانير وتصب في خزائن باعة المسكرات وكيف يأتون بالبغايا وينصبونهن حبائل لاقتناص الوارثين من ابناء الموسرين وكيف يخرب هؤلاء الاغمار بيوتهم بايديهم وايدي الحواجات ومن وراء ذلك سوء المنقلب وبئس المصير

وفي الختام اقول ان السيد احمد البدوي رضي الله عنه لو كان حياً يمشي على رجلين وينطق بلسان وشفتين ودعا اهل القطر المصري لعمل من الاعمال الخيرية يعود عليهم بالخير العاجل والثواب في يوم الجزاء لما لقي منهم الا اعراضاً بل لو قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى مثل ذلك لما كانوا له الا كما كان عبد الله بن ابي سلول فالى متى لا نرى من الحكومة الا المساعدة على هذه المنكرات ولا نبصر من العلماء الا الاقرار على هذه الموبقات ؟